**بيوتات بغداد**

**في دراسات المؤرخين المحدثين**

**أ. د. عماد عبدالسلام رؤوف**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

يُولي مؤرِّخ المدينة المعاصِر - وهو المَعنِيُّ بدراسة تطور العَلاقات الاجتماعية لمدينة ما، وما يَرتبِط بها مِن ظواهر اقتصادية وثقافية معقَّدة - عنايةً خاصَّة بتاريخِ الأُسَر التي سكنَتْ تلك المدينة، بوصفه يَكشِف عن جملة مِن الظواهر؛ منها: أن معرفة الأصول القومية التي انحدَرتْ منها تلك الأُسر يَكشِف عن التركيب القومي لمجتمع تلك المدينة، ويوضِّح نِسَب ذلك التركيب إلى حدٍّ ما.

إن معرفة الانتماءات القَبَلية لتلك الأُسَر يُبيِّن نوعَ المجتمعات البشرية التي يتألَّف منها مجتمعُ المدينة، وبذا يُمكن للمؤرِّخ - أو حتى عالِم الاجتماع - تفسيرُ كثيرٍ من الظواهر التي يتَّصف بها ذلك المجتمعُ، وطبيعة ردود أفعاله إزاء التحديات الحضارية المختلفة.

إن مَعرِفة المدن والمناطق التي انحدَرتْ منها تلك الأُسَر، يُلقِي الضوء على طبيعةِ المؤثِّرات الحضارية التي تؤثِّر في مجتمع المدينة المذكور، وتوضِّح - إلى حدٍّ كبير - أصولَ تلك المؤثِّرات، بتحديدِ الأماكن التي انطلَقتْ منها.

إن تحديدَ تاريخِ هجراتِ الأُسَر إلى المدينة من شأنه أن يُبيِّن الحِقَب التي شهدتْ زيادةً في الهجرة إلى تلك المدينة، من التي لم تَشهَدْ مثل تلك الزيادة، وإذا ما لُوحِظ أثرُ العوامل السابقة؛ مِن معرفة الأصول القومية، والقَبَلية، والمكانية؛ يكون ميسورًا معرفةُ الطريقةِ التي تَكوَّن على وَفْقها مجتمعُ المدينة المذكورة.

إن معرفة المِهَن والحِرَف التي امتهنتْها تلك الأُسَر - سواء أكانت دينيَّة أم عِلمية أم إدارية أم غيرها - توضِّح طبيعة النشاط الاقتصادي، ومعايير الوجاهة الاجتماعية في عصرٍ ما.

إن تحديدَ الأماكن التي سكنَتْها الأُسَر في المدينة، من شأنه أن يَرسُم خارطة توضِّح توزيع الفئات الاجتماعية المختلفة في محلات المدينة، وتبيِّن الأسباب التي دَعَتْ كلَّ فئة إلى اختيار محلة معيَّنة مُستقرًّا لها.

إن دراسةَ الأعلام الذين خرَّجتهم كلُّ أسرة، والمجالات التي نبَغوا فيها، يُساعِد على فَهْم ظاهِرة توارُث الخصائص الثقافية والمِهْنيَّة لأبناء المدينة الواحدة، وهو ما يَمنح المدينة ملامِحها الخاصة بين المُدُن.

ولنا أن نُلاحِظ أن التاريخَ للأسرةِ لم يكن أحدَ الضروبِ البارِزة لكتابةِ التاريخ في العصور الإسلامية، فلم نقرأْ أن مؤلِّفًا رتَّب أعلامه على وَفْق أُسَرِهم، وإنما جَرَتِ العادة بترتيبهم وَفْقًا لمدارسهم الفكرية، أو لمجالات تخصُّصهم، أو على وَفْق السياق الزمني لوفياتهم، أو - على الأقل - بحسبِ حروف المعجَم، والمجالُ الوحيدُ الذي ذُكرتْ فيه أسماء الأُسَر هو كتُب الأنساب، فحينما يُشِير مؤلِّف مَعْنِيٌّ بالنسَب إلى عددٍ من الرجال الذين يَنتَظِمُهم خطُّ نسَبٍ معيَّن؛ يذكر أحيانًا الاسم المشترَك، والذين عُرفوا به في عهده؛ كأن يقول: (وهم المعروفون بآل كذا)، وإن أشار إلى أبيهم قال: (وهو الذي يُعرف ولده ببني كذا)، وقد يَكتفِي مؤلِّفو كتُب المُشَجَّرات النَّسَبية - (وهي التي تصل بين الآباء والأبناء بخطوط) - بوضْع لقبِ الأسرة فوق أسماء الرجال الذين يَجمعُهم عمودُ نسبٍ واحد، في حِقْبة محدَّدة[[1]](#footnote-1).

وفي تقديرِنا، فإن اتخاذ (الأسرة) بوصفِها الوَحْدة الاجتماعية الصُّغْرى، موضوعًا للكتابة التاريخيَّة، أو أساسًا لترجمة الأعلام؛ قد لا يَرقَى ظهوره في أقطارنا العربية إلى أبعدَ من القرن الثاني عشر للهِجرة - (الثامن عشر للميلاد) - وهو قد اتَّخذ شكلَ مؤلَّفات مُستقِلَّة يؤرِّخ كلٌّ منها لأسرة معيَّنة، أو أنه اتخذ من جمعِ تراجمِ أُسَرٍ عديدة موضوعًا لكتاب.

وعلى الرغم من ازدهار كتابة التاريخ في بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة؛ فإن أحدًا من المؤرِّخين لم يُدَوِّن لنا قائمةً بأسماء الأسر البغدادية التي عاصَرها، فضلاً عن أن يتحدَّث عن تاريخها، وهكذا بِتْنا لا نعلم مَن سَكَن في هذه المدينة إبَّان القرون المتأخِّرة؟ وما هي أصول أولئك الذين سكَنوها؟ وما طبيعة نشاطاتهم الاقتصادية، واتجاهاتهم الفكرية.. إلخ؟

وأولُ قائمةٍ بأسماء تلك الأسر وردَتْنا صدفة! أي إنها لم تكن نتيجةً لعملِ مؤرِّخ ما، وإنما جاءتْ عَرَضًا في ثنايا قصيدةٍ بائية طويلة من بحر البسيط، لشاعر بغداديٍّ، هو السيد محمد جواد السياهبوش (توفي سنة 1247هـ/1831م) هجا فيها - دونما إقذاع أحيانًا - عددًا كبيرًا من بيوتاتِ بغداد، لأسبابٍ تتعلَّق بمَوقِف هذه الأسرة أو تلك منه، فسجَّل - بهَجوِه أو مَدحِه - وجودَها في عهد نظمِ قصيدته (سنة 1239هـ/ 1823م)[[2]](#footnote-2)،ومِن نافلة القول: إن القصيدة لا تقدِّم معلوماتٍ عن هذه الأُسَر غير أسمائها، ومع ذلك فإن أهميتَها تتمثَّل في انفِرادها بذكر تلك الأسماء، التي ما كنا لنَعرِف أكثرها لولا أن وردتْ في القصيدة المذكورة.

يَبلغ عدد أبيات القصيدة 93 بيتًا، ومطلعها: (2)

**لَا تَبْتَغِي غَيْرَ فَضْلِ اللهِ فِي الطّلَبِ = وَمَنْ يُؤَمِّلْ عَطَاءَ اللهِ لَمْ يَخِبِ**

ويبلغ عددُ الأسر التي أُشِير إليها في ثنايا القصيدة إحدى وأربعين أسرة، رتِّبت على غير سياق محدَّد؛ وهي:

1- آل مِخلف.

2- آل الشالجي.

3- آل المَراياتي.

4- آل كُبَّة.

5- آل عيشة.

6- آل المِزراقجي.

7- آل الباجه جي.

8- آل زَهرة.

9- آل دَلَّة.

10- آل المَعْمَلجي.

11- آل الدامَِرجي.

12- آل الطاطاني.

13- العَطْعَطيون (آل عطا).

14- آل القيمجي.

15- آل ونَّة.

16- آل الدَّرقزلي (الدَّركزلي).

17- آل عَرْمُوش.

18- بيت الفارسيَّة (بيت كاتب الفارسية، أو بيت الفارسي).

19- آل سلطان حَمود (سلطان حمودة).

20- العودديون (آل العَوَّادي).

21 بنو الرَّهْبي (آل الرحبي).

22 الجلجيون (آل الجلجي).

23- المكاريون.

24- آل حَرباء (آل الحَرباوي).

25- آل الجَرجَفي (آل الجرجفجي).

26- آل القشطيني.

27- الرَّفرفيون (آل رَفَّة).

28- آل الأورفلي.

29- آل قهرية.

30- آل مصبغة.

31- آل سَنَد.

32- آل كافل الحسين.

33- بنو البيري.

34- آل طليقاني (آل الطالقاني).

35- آل بني عيسى (آل السيد عيسى).

36- آل زركوشة (آل الزركشي).

37- النيل فروشي.

38- أزارقة.

39- مليَّة (آل الملي).

40- عمشة(3).

بَيْدَ أن أولَ نصٍّ تاريخي يتناولُ بالبحث بيوتات بغداد المعروفة، هو الكتاب الذي عنونَّاه (تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة)؛ لمؤلفه الشيخ عبدالرحمن حلمي بن محمد عبدالمحسن العباسي السهروردي (المتوفى سنة 1287هـ/ 1870م)، فقد تحدَّث هذا المؤرِّخ عن ستٍّ وستين أسرة بغدادية، تُعد - فيما يظهر - من أبرز أُسَر المدينة وأكثرها شهرة، وهي:

1- بيت أحمد شكري.

2- بيت السيد فتاح.

3- بيت رفَّة.

4- بيت الملا إسماعيل.

5- بيت الدباغ.

6- بيت الملا سليمان الجُورَه بجي.

7- بيت أوده باشي.

8- بيت السيد حسين رفَّة.

9- بيت معروف.

10- بيت مصطفى أغا.

11- بيت فتحي الموصلي.

12- بيت علاوي.

13- بيت فشتني.

14- بيت مصطفى.

15- بيت شيخ عمر.

16- بيت إبراهيم نديم.

17- بيت السُّويدي.

18- بيت العُشاري.

19- بيت الأعظمي.

20- بيت مهدي جلبي.

21- بيت عبدالرحمن الأعظمي.

22- بيت اليَمَنجي.

13- بيت عبدالرزاق الشيخلي.

24- بيت الشُّوشة جي.

25- بيت أمين.

26- بيت محمد رفيع.

27- بيت الرَّواف.

28- بيت تاتار اغاسي.

29- بيت الخاصكي.

30- بيت نائب بغداد.

31- بيت بكتاش.

32- بيت وهب أغا.

33- بيت عبُّود.

34- بيت البرزنجي.

35- بيت ينكجري أفنديسي (وهم آل الرهاوي، أو آل الأورفلي).

36- بيت النقيب.

37- بيت الحاج طه.

38- بيت العُشاري (أشار إلى بعض رجالاته في موضوع سابق).

39- بيت الراوي.

40- بيت عبدالكريم أفندي.

41- بيت القيَّار.

42- بيت الفناهرة.

43- بيت مصطفى الخليل.

44- بيت الحاج صالح.

45- بيت يوسف بك.

46- بيت عزير أغا.

47- بيت الحاج حبيب.

48- بيت رضوان أغا.

49- بيت نائب زاده.

50- بيت السويدي (أشار إلى بعض رجالاته في موضوع سابق).

51- بيت محمود بن زكريا النقيب.

52- بيت محمد سعيد المفتي.

53- بيت يحيى المزوري.

54- بيت مرزا أغا.

55- بيت أغا زاده.

56- بيت الجاويش.

57- بيت خليل أفندي (الدفتري).

58- بيت بكتاش.

59- بيت الدوري.

60- بيت متولي الدور (وهم آل السُّهْرَوَردي).

61- بيت محمد سعيد نقيب بغداد.

62- بيت الحاج رسول أفندي.

63- بيت الدركزلي.

64- بيت الحيدري.

65- بيت الشاوي.

66- بيت صمناجي زاده.

67- بيت المفتي.

وموطنُ أهميةِ كلامه عن هذه الأسر، أنه ضمَّنه معلوماتٍ ذاتَ فائدة حقيقية في دراسة منشئها، والمدن التي انحدرتْ منها، فقال في كلامه على بيتِ السيد فتاح: إن رجاله من بلدة الموصل، ووطنوا بغداد سنة 1236هجرية، ووَصَف بيت الدباغ بأن أصلهم من الموصل سَكَنُوا بغداد سنة 123هـ، ووصف بيت الجوره بجي بالموصلي، فعرَّفنا بأصلهم، ومثله ما ذكره عن بيت فتحي الموصلي وبيت علاوي؛ إذ قال عنه: من البيوت الموصلية، وقوله عن بيت البرزنجي: إنهم من أهل برزنجة، وعن بيت السويدي: إنهم من أهل قرية الدور العليا، وعن بيت الروَّاف: إنهم من أهل نجد، وعن بيت عبود: إنهم من أهل الموصل جاؤوا إلى بغداد.

ومثل هذه المعلومات تُفِيدنا في تحديد تواريخ هجرة الأُسَر إلى بغداد، فضلاً عن مناطق هجرتها، مما يَفتَحُ مجالات جديدة للبحث في تاريخ الهجرات الاجتماعية، وآثارها الاقتصادية والسياسية إبَّان ذلك العصر.

ويَزِيد من أهمية هذه القائمة، أنه أشار في مواضعَ عديدةٍ إلى المِهَن التي اشتهرتْ بها تلك الأُسَر، وصلةِ ذلك بالعوامل التي أدَّتْ إلى هجرتها إلى بغداد، ومن تحليلنا للمعلومات التي أوردَها عن الخلفيات الاقتصادية لتلك الأسر؛ توصَّلنا إلى أنه ذكر:[[3]](#footnote-3)

* أسرة من العلماء.
* أسرة من الموظفين، وأرباب المناصب العسكرية (أغوات).
* من التجَّار وأهل الحِرَف.
* أُسَر من الوجهاء.
* أُسَر لم تحدَّد مِهنُها.

ومنهج عبدالرحمن حلمي في عرضه للأسر البغدادية في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة (18م)؛ يتحدَّد في جملةٍ من الأمور؛ أهمها: إشارته إلى مَوطِن الأسرة الأولى ومِهْنتها - على ما ذكرنا - والتنويه بأبرز رجالاتها، مع التطرُّق إلى ما حازتْه تلك الأُسَر من سمعةٍ طيِّبة ومجد، ويُشِير - في بعض الأحيان - إلى صلةِ رجال الأسرة بالسلطة، وإلى طبيعة ارتباطها بأسرته، من عَلاقات ووشائج مختلفة.

وقبل أن يتوفَّى عبدالرحمن حلمي بسنة واحدة، وضَع عالِم بغدادي ذائع الصيت - هو إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري، (توفي سنة 1300هـ/1882م) - كتابًا مهمًّا في تاريخ بغداد والبصرة ونجد، بعنوان (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد)، ضمَّنه فصلاً كبيرًا في بيان البيوت الطيبة من ذوي العلم، والسيف، والقلم، والتجارة، في بغداد في عصرنا هذا[[4]](#footnote-4).

وتحدَّث في هذا الفصل على ستٍّ وتسعين أسرة؛ هي:

1- بيت الحيدري.

2- بيت القادرية.

3- بيت الشاوي.

4- بيت عبدالله بك الربيعي.

5- بيت كوسه دفتردار.

6- بيت العلقبند.

7- بيت سميكه.

8- بيت الحاج إسماعيل المفتي.

9- بيت أحمد الطبقجلي.

10- بيت محمد سعيد المفتي.

11- بيت عبدالله بن مرتضى المفتي.

12- بيت الرحبي.

13- بيت الخطيب.

14- بيت جميل.

15- بيت ياسين المفتي.

16- بيت رفَّه.

17- بيت السويدي.

18- بيت الراوي.

19- بيت الشواف.

20- بيت بكتاش أفندي.

21- بيت مِدلج.

22- بيت شطّي.

23- بيت أحمد النائب.

24- بيت عبدالرحمن الروزبهاني.

25- بيت الحاج أسعد أفندي.

26- بيت فرهاد.

27- بيت عبدالباقي العمري.

28- بيت عبدالرحمن أفندي الأعظمي.

29- بيت الإمام عبدالله.

30- بيت جرجيس.

31- بيت الألوسي.

32- بيت السيد عبدالغفور المشاهدي.

33- بيت سيد محمود الأورفلي.

34- بيت إسماعيل كهيه.

35- بيت محمود كهيه.

36- بيت خليل أفندي الدفتري.

37- بيت علوش أفندي.

38- بيت علوش.

39- بيت درويش أغا القائم مقام.

40- بيت نعمان أفندي القائم مقام.

41- بيت بكر كهيه.

42- بيت أحمد أفندي الزندي.

43- بيت الزهاوي.

44- بيت صالح أغا رئيس الكتاب.

45- بيت عبدالجليل بك.

46- بيت عبدالرحمن الأورفلي.

47- بيت صاري كهيه.

48- بيت حسن بك.

49- بيت الجرجفجي.

50- بيت طويق.

51- بيت نظمي زاده.

52- بيت الروزنامجي.

53- بيت أحمد أفندي المصرف.

54- بيت السيد رحمة الله الجيبه جي.

55- بيت عمر أغا الجيبه جي.

56- بيت الغرابي.

57- بيت القشطيني.

58- بيت مينه.

59- بيت عرموش.

60- بيت وزنكر.

61- بيت الباجه جي.

62- بيت الملا عبدالرزاق.

63- بيت دَلّه.

64- بيت الحاج سعيد البقال.

65- بيت الأدهم.

66- بيت سَند.

67- بيت الوِتري.

68- بيت الإمام.

69- بيت عطا.

70- بيت هاشم.

71- بيت المِزرقجي.

72- بيت كبَّه.

73- بيت سيد عيسى.

74- بيت شالجي موسى.

75- بيت القيْمَقجي.

76- بيت المراياتي.

77- بيت الخاصكي.

78- بيت الأعرجي.

79- بيت جلال.

80- بيت المعملجي.

81- بيت سيد يحيى.

82- بيت القصابجي.

83- بيت هلال.

84- بيت الدامرجي.

85- بيت كُزبَرخان.

86- بيت يوسف جبرة.

87- بيت جبرة أصفر.

88- بيت إلياس عيسى.

89- بيت عِزره صرَّاف باشي.

90- بيت سوميح.

91- بيت ساسون.

92- بيت أبي قبلاغ.

93- بيت بحر.

94- بيت كرجي.

95- بيت الطالقاني.

96- بيت التوكمه جي.

فهذه القائمة - كما ترى - أوسعُ مما أورده عبدالرحمن حلمي، وأكثر شمولاً، كما أنها ضمَّتْ لأول مرة أسرًا نصرانيةً وأخرى يهودية، ولم يجمع بينهما إلا العيش المشترك والمواطنة في هذه المدينة.

وفضلاً عن ذلك، فإن ما كتبه الحَيْدري يمثِّل تطورًا محسوسًا في منهج دراسة الأسر، فهو - على خلاف سابقه - أكثر اهتمامًا بالأنساب التي تنتمي إليها الأسر؛ فبيت الحيدري - وهم أسرة المؤلِّف - ينتمون إلى الإمام موسى الكاظم، بواسطة الشريف أحمد الأعرابي، وبيت الشاوي ينتسبون إلى شاوي بك، من آل شاهر شيوخ قبيلة العبيد، وبيت فرهاد من أولاد أبي بكر الصديق، ومثلهم بيت الخاصكي، وبيت علوش من عشيرة القراغول وغير ذلك.

وهو - من ناحية أخرى - يُبدِي اهتمامًا بالغًا بذكر المدن التي تنحدر منها تلك الأُسَر، فبيتُ كوسه دفتر دار من أهالي إسلامبول، وبيت الحاج إسماعيل المفتي من أهالي "سُرَّ مَن رَأَى"، ومثلهم آل خطيب الإمام الأعظم، وبيت الطبقجلي من أهالي حديثة من نواحي عامة، وبيت عبدالله بن مرتضى من أهالي بُهرز من قرى بغداد، وآل الرحبي من أهالي الرحبة، وهي رحبة الشام، وبيت الراوي من أهالي راوه من نواحي عنه (عانه)، وبيت الشواف من أهالي الدير، وبيت فرهاد أصلهم من كركوك، والأصل الأول من عبدلان في نواحي الأكراد، وبيت عبدالباقي العمري من الموصل، وبيت جرجيس من أهالي عنه، وبيت الألوسي هم في الأصل من ألوس قرب عنه، وبيت الباجه جي في الأصل من أكابر الموصل وغير ذلك.

كما أننا نجده شديد العناية بتحديد المِهَن والوظائف التي اشتهرتْ بها أكثر الأُسَر التي تحدَّث عنها، فبيتُ سميكه مثلاً بيت علم وتقوى، وصلاح وخيرات، وتجارة، وبيت الحاج إسماعيل المفتي بيت علم، وبيت الطبقجلي بيت علم وسيادة، ومثله بيت محمد سعيد المفتي، وبيت عبدالله بن مرتضى المفتي، وبيت ياسين المفتي، وغيرهم.

ومن ذلك قوله عن بيت الراوي: إنهم بيت فضل وعلم وتجارة، وعن بيت فرهاد: إنه بيت تجارة وخيرات وميراث، وعن بيت عرموش: هو بيت عزٍّ وتجارة، ومثل ذلك قوله عن بيت كبة: هو بيت عظيم في التجارة، وعن بيت سيد عيسى: هو بيت تجارة وافية، وغير ذلك كثير.

ويحرص الحيدري على التنويه ببعض أعلام الأُسَر التي يتحدَّث عنها، وتناول سبب شهرتهم، ووظائفهم، كما نجده يتطرَّق إلى وصفِ ما آل إليه أمرُ هذه الأسرة في عهده، فبيتُ الربيعي مثلاً بَقِي منهم بعض النُّجَباء، وبيت العلقبند لم يبقَ منهم إلا رجل صالح من طلبة العلم، وبيت الحاج إسماعيل المفتي لم يبقَ منهم الآن أحد، وصارت ديارهم بلاقع، وبيت محمد سعيد المفتي بَقِي منهم بعض الطلبة، وبيت الحاج بن مرتضى المفتي لم يبقَ منهم أحدٌ سوى بعض العصبة من أهل الكسب، وبيت الرحبي لم يبقَ منهم إلا بعض العامة، وبيت رفَّه بقي منهم بعض التجار، وبيت مدلج لم يبقَ منهم إلا بعض ذوي الأرحام، وغير ذلك مما نحسبه قد انفرد بذكره عما سواه من المؤرِّخين.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ألَّف العلامة محمد سعيد الراوي (ت 1936م) كتابَه الضخم المسمَّى (تاريخ الأسر العلمية في بغداد)[[5]](#footnote-5)، على وَفْق منهج جديدٍ اختاره، زاوج فيه الحديث عن الأسرة، والترجمة لعلمائها؛ فاختار أن يؤرِّخ للأسر العلمية الرئيسية في بغداد، خلال الترجمة للنابِهين من أبنائها، وبهذا لم يُعْنَ بالأسر التي لم يشتهر أبناؤها بعلم أو أدب، وإن عُرفت بالتجارة والوجاهة مثلاً، بل إننا نجده يغفل - عامدًا - الترجمة لبعض البارزين من تلك الأسر، وبخاصة المعاصرون له، فيمرُّ بهم بسرعة دونما تفصيلٍ، لا لأمر سوى لعدم اشتهارهم - كأسلافهم - بشيءٍ من علم وأدب.

ولم يقفْ في بحثه عند نطاقٍ زمني محدَّد، كأن يُترجِم لأبناء القرن الذي عاش فيه، أو القرن السابق عليه، وإنما تتبَّع جذورَ تلك الأسر - موضوع بحثه - فترجَم لأسلافها الأوائل، ومنهم مَن عاش في القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة، وحدَّد بذلك الصلات النَّسَبية التي ربطتْ بينهم، وطبيعة الاهتمامات العلمية والأدبية التي ورَّثوها لأبنائهم، ومع ذلك فإنه لم يَشَأْ أن يجعل من (الأسرة) وحدةً موضوعية يؤرِّخ لها بمَعْزِل عن الترجمة لأبنائها؛ ولهذا فإن تراجِمَه - وإن توزَّعت على أُسر محددة - لكنها ظلتْ - إلا في حالاتٍ معيَّنة - خِلْوًا من مقدِّمات تاريخية تبحث في تلك الأُسَر نفسها، بينما توزَّعتْ تلك المقدِّمات في ثنايا تراجم بعض البارزين من أبنائها، فكتب عن نسب أسرته - آل الراوي - ووضح صلاتها بالأُسَر الأخرى، في خلال ترجمته لأول مَن اختاره للترجمة من رجالها، وهو السيد حسين أفندي الراوي (المتوفَّى سنة 1165هـ/1751م)، وكتب عن نسب السادة الحيدرية، وقدومِهم إلى العراق، والمواطن التي استقرُّوا فيها، ضمن ترجمة لأول مَن قَدِم من رجالهم إلى العراق، وهو السيد صبغة الله الحيدري (المتوفَّى سنة 1187هـ/1773م)، ولكن ذلك لم يَمْنَعه من أن يعود - بعد أن فرغ من الترجمة لأبنائه وأحفاده - لترجمة العلماء من أسلاف صبغة الله المذكورة، حتى انتهى إلى أول مَن وَفَد من ما وراء النهر - حيث موطن الأسرة الأول - إلى العراق، ونظير هذا ما فعله في تاريخِ أسرة السويديين، حين تناول شيئًا من التاريخ في ترجمةٍ للشيخ عبدالله السويدي، وهو أول مَن اشتهر بالعلم من رجالها، وعُرِف بهذا اللقب، وإن سبقه في الإقامة ببغداد جيلانِ قبله.

وما دونه من نسب الألوسيين ومواطنهم الأولى في ترجمة السيد أبي الثناء محمود الألوسي (المتوفَّى سنة 1270هـ/1855م)، وهو أول من نال الشهرة العريضة من رجالاتهم، وإن لم يكن أولهم إقامة في بغداد.

ويمكننا أن نتَّبِع هذا المنهجَ في كلامه على آل جميل، وآل الشوَّاف، وآل الطبقجلي، فقد تكلَّم على هذه الأُسر في أثناء ترجمته للبارزين الأوائل من رجالاتها، لكننا نَلمَح أن المؤلِّف طوَّر منهجه في القسم الأخير من كتابه، فكتب مقدِّمات مهمَّة مستقلِّة في تاريخ بعض الأسر موضوع البحث.

ومن الواضح أنه ما فعل ذلك إلا لإحساسه بضرورةِ تقديم فَذْلَكَة، وتقديم عامٍّ للأسر المذكورة، وهو ما تجلَّى في بحثه عن النقباء من الأسرة الكيلانية، فقد تتبَّع فيه جذور مؤسسة نقابة الأشرف في بغداد منذ أن تولاَّها أحفاد السيد الشيخ عبدالقادر الكيلاني في القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد)، ومثل هذا ما فعله بصددِ آل الشاوي أيضًا، فإنه قدَّم لتراجم رجالاتهم بمقدمة مستقلة، تكلَّم فيها عن نسبهم ومنزلتهم العامة بين القبائل، وما عُرِفوا به من الشجاعة والبأس.

والمؤلف - بعد هذا - شديدُ الاهتمام بتوضيح ما يصل بين مترجَميه من دواعي القرابة والمصاهَرة، وهو ما يتجلَّى بوضعه مُشجَّرتَي نسبٍ لأسرتين ترجَم لأبنائهما؛ هما: آل الراوي الحسينيون من السواهيك، وآل الشاوي العُبَيديون الحِمْيَرِيُّون، وتثبيته العديد من المعلومات النَّسَبية بشأن الأسر الأخرى، بما يمكن أن يكون سببًا في وضع (شجرات نسب) لها، تفيد في تقويم صلاتها الاجتماعية.

وفي الوقت نفسه تقريبًا ألَّف باحثٌ شابٌّ - سيكون له شأن فيما بعد - هو الشيخ محمد بهجة الأثري، (المتوفَّى سنة 1996م) كتابًا مستقلاًّ في تاريخ أسرة علمية واحدة[[6]](#footnote-6)، هي الأسرة الألوسية، التي برزتْ في بغداد في مفتتح القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، فتكلَّم عن نسبها، وترجم لأعلامها، ولا سيما منهم: السيد محمود شكري الألوسي، الذي تَلْمَذ المؤلِّف على يديه، ويظهر أن الأثري أراد بهذا الكتاب أن يكون جزءًا من موسوعة كبيرة، تضمُّ تراجم عددٍ كبير من أعلامِ العراق، عنوانُها "أشهر مشاهير العراق في العلم والأدب، والسياسة والرئاسة، والظرف والفنون الجميلة، منذ القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد)".

وعلى الرغم من أن منهج الكتاب يلتزم قواعد الترجمة للأعلام - كما توضَّحت في تراجم الألوسيين - فإن نظرةً لِثَبَت محتوياته المقترَحة، تُظهِر أنه احتوى تاريخًا لأسر بغدادية بذاتها؛ منهم: آل السويدي، وآل الحيدري، وآل الرحبي، وآل الخضيري وغيرهم.

ومن المؤسف أن هذه الموسوعة النافعة لم يُكتَب لها الظهور، باستثناء ما اختص منها بالألوسيين على ما أشرنا إليه.

ويأتي كتاب إبراهيم بن عبدالغني الدروبي البغدادي (ت 1959م)، والذي سمَّاه (البغداديون أخبارهم ومجالسهم)[[7]](#footnote-7)؛ ليقدِّم آخر صورةٍ لأُسَر بغداد بتاريخها، وصلاتها، ومجالسها، وأعلامها قبل أن تعصف بها رياح التغيير الاجتماعي بُعَيد قيام ثورة تموز 1958م[[8]](#footnote-8)، وبالرغم من عنوان الكتاب غير المُفصِح عن مضمونه تمامًا، فإنه غطَّى تاريخ أسر بغداد إبَّان النصف الأول من القرن العشرين، مع مقدِّمات ضرورية عن تاريخها قبل ذلك، وأكثر تلك الأسر ممن وَفَد إلى بغداد واستقرَّ فيها، خلال القرنين الأخيرين.

ومثلما فعل الحيدري من قبلُ، تناول الدروبي في كتابِه الحديثَ عن أُسرِ بغدادَ الإسلامية والنصرانية واليهودية على حدٍّ سواء، فبلغ عدد هذه الأسر 223 أسرة؛ منها أسر نصرانية، وأخرى يهودية؛ وذلك على النحو الآتي:

**أسر مسلمة:**

**تناول 202 أسرة تنتمي إلى أصول قومية مختلفة، أكثرُها من العرب، وبعضها من الترك والكرد والمماليك، وهم الذين انحدروا من أصول كرجية في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة (18م) وغيرهم، وقد سكن معظمُ هذه الأسر في الجانب الشرقي، ومنهم مَن سكن الجانب الغربي، وعرف بعض هذه الأسر باسم (بيت) وبعض آخر (آل)، بينما ترجم لقسم آخر باسم أعلام الأسرة البارزين؛ وهم:**

1- السيد علي الكيلاني نقيب الأشراف، 2 - السيد سلمان الكيلاني، 3 - السيد عبدالرحمن الكيلاني، 4 - السيد محمود حسام الدين الكيلاني، 5 - السيد داود ضياء الدين الكيلاني، 6 - السيد حسن سالم الكيلاني، 7 - السيد عبدالله الكيلاني وأحمد الكيلاني، 8 - السيد إبراهيم سيف الدين الكيلاني 9 - السيد موسى شرف الدين الكيلاني، 10 - السيد محيي الدين الكيلاني، 11 - السيد عبدالقادر الكيلاني، 12 - السيد أحمد السيد ياسين الكيلاني، 13 - السيد محمد حامد الكيلاني، 14 - السيد حسين ناصر الدين الكيلاني، 15 - آل الواعظ 16 - آل السويدي، 17 - أبو الثناء محمود الألوسي، 18 - آل الجميل، 19 - آل الشاوي، 20 - آل الطبقجلي، 21 - آل الحيدري، 22 - الشيخ عبدالرحمن الروزبهاني، 23 - الشيخ طه الشواف، 24 - عبدالملك الشواف، 25 - قاسم البياتي، 26 - عبدالرحمن الأدهمي، 27 - عبدالباقي العمري، 28 - الحاج حسن الهندي، 29 - عبدالغفار الأخرس، 30 - صالح التميمي، 31 - بيت عطا، 32 - الشيخ إبراهيم الراوي، 33 - بيت دلة، 34 - بيت السنوي، 35 - الشيخ عبدالوهاب النائب، 36 - السيد عباس القصاب، 37 - آل القشطيني 38 - الشيخ محمود الديملاني، 39 - القاضي الشيخ عبدالحميد الشيخ علي، 40 - داود السعدي، 41 - آل عبدالجليل بك، 42 - بيت الزيبق، 43 - الشيخ سليمان الغنام، 44 - بيت الوسواسي، 45 - بيت الخنيني، 46 - بيت المدلل، 47 - سليمان الصالح، 48 - بيت الريس، 49 - السيد محمد سعيد المصطفى الخليل، 50 - بيت الربيعي، 51 - الحاج حسن الكوله 52 - سليمان فائق، 53 - الحاج إسماعيل شطي، 54 - الشيخ عيسى البندنيجي، 55 - آل الأورفلي، 56 - بيت سميكة، 57 - درويش أغا القائممقام، 58 - عبدالغفور المشاهدي، 59 - نعمان أغا القائممقام، 60 - آل الوتري، 61 - آل القلعه لي، 62 - آل مدلج، 63 - آل الخضيري، 64 - آل القيارة، 65 - آل عزير أغا 66 - طاهر جلبي آل الراضي، 67 - محمد درويش بن عزيز، 68 - آل القيماقجي، 69 - آل التتار، 70 - أمير اللواء محمد باشا الدياربكري، 71 - بيت الباجه جي، 72 - الملا عبدالحميد الضاحي، 73 - آل البرزنلي، 74 - آل ثنيان، 75 - الشيخ عبدالحليم الحافاتي، 76 - آل الدفتري، 77 - معروف الرصافي، 78 - عبدالعزيز المطير، 79 - الشيخ عبدالسلام الشهير بالشواف، 80 - آل العمري، 81 - الشيخ قاسم الغواص، 82 - إبراهيم بك المميز، 83 - آل شاكر أفندي، 84 - الحاج أمين كاتب الخزينة، 85 - آل الكتخدا، 86 - آل المصرف، 87 - بيت سند، 88 - السيد أحمد خطيب الأعظمية، 89 - بيت العلقبند، 90 - آل مامو، 91 - آل عارف أغا، 92 - آل الروزنامه جي، 93 - آل فرهاد، 94 - آل الفارسي، 95 - آل الجادرجي، 96 - رفعت بك ينكجري آغاسي، 97 - آل الجيبه جي، 98 - بيت متولي الأعظمي، 99 - آل الجوربه جي، 100 - آل رئيس الكتاب، 101 - بيت الرحبي، 102 - غلام رسول الهندي، 103 - بيت كوسه دفتردار، 104 - آل الزهاوي، 105 - فهمي المدرس، 106 - الشيخ أمجد الزهاوي، 107 - الشيخ رشيد الكردي، 108 - الشيخ محمد أمين الكردي المعروف بالملا معنوي، 109 - بيت البزركان، 110 - حسين أفندي الغرابي، 111 - آل البقال، 112 - الحاج محمود التحميسجي، 113 - أيوب اليتيم، 114 - عبدالله الخياط، 115 - بيت ونة، 116 - بيت الخطيب، 117 - آل متولي سليمان باك، 118 - السيد أحمد الراوي، 119 - السيد إبراهيم البرزنجي، 120 - آل رفة، 121 - فتاح باشا، 122 - الشيخ رضا الطالباني، 123 - بيت الشيخلي، 124 - بيت الشابندر، 125 - آل سلطان حمودة، 126 - آل الرحال، 127 - آل شيخ الحلقة القادرية، 128 - بيت الريزه لي، 129 - الشيخ أسعد الدوري، 130 - الشيخ أحمد الفكيكي، 131 - آل القره غولي، 132 - آل يمنجي علي، 133 - الشيخ خالد النقشبندي، 134 - الشيخ أبو بكر عبدالرحمن بن أبي بكر المصنف، 135 - أحمد أفندي التكية، 136 - الشيخ داود النقشبندي، 137 - طه جلبي، 138 - توفيق وهبي بك، 139 - قاسم القيسي مفتي بغداد، 140 - الشيخ نعمان الأعظمي، 141 - عبدالفتاح المدرس، 142 - آل الوتَّار، 143 - آل الحاج خالد الجلبي، 144 - الشيخ محمد شريف العاني، 145 - آل بابان، 146 - السيد خضر أفندي الطائي، 147 - الحاج محمود جلبي التكريتي، 148 - السيد أمين الأعظمي، 149 - ياسين باشا الهاشمي، 150 - آل مصطفى سليم جلبي، 151 - الدكتور ناجي بك الأصيل، 152 - السيد طه الراوي، 153 - بيت العسافي، 154 - بيت الدركزنلي، 155 - آل ملوكي، 156 - آل الشيخ قادر، 157 - الحاج علي والحاج أحمد الشيخلي، 158 - الحاج حمدي الأعظمي، 159 - الشيخ محمد القزلجي، 160 - السيد عبدالحميد الأتروشي، 161 - آل البسام، 162 - السيد حسن البغدادي، 163 - عبدالله الشيخلي، 164 - الشيخ عبدالرحمن الزبير، 165 - آل شلال القيسي، 166 - السادة الهيتاويين، 167 - جميل صدقي الزهاوي، 168 - أسعد أفندي الموصلي المدرس، 169 - السيد أحمد السيد عثمان الخطيب، 170 - الشيخ نوري الشيرواني، 171 - توفيق بك البرزنجي، 172 - أسرة الشوكة، 173 - الشيخ خضر بن عباس العجاج، 174 - محمد باشا الداغستاني، 175 - محمد باك أكريبوز، 176 - السيد حسن الصدر، 177 - آل كبة، 178 - بيت شالجي موسى، 179 - بيت المراياتي، 180 - الشيخ شكر، 181 - أحمد الظاهر، 182 - بيت المزرقجي، 183 - المعمله جي، 184 - بيت القيمجي، 185 - بيت الطالقاني، 186 - علي كافل حسين، 187 - بيت الجرجفجي، 188 - آل الدامرجي، 189 - بيت السيد عيسى، 190 - بيت الخاصكي، 191 - آل الشالجي، 192 - السادة الحلاويين، 193 - السيد حسين يحيى، 194 - الشيخ كاظم الدجيلي، 195 - السيد جواد السياهبوشي، 196 - بيت السوز، 197 - بيت جلال، 198 - آل الدجيلي، 199 - آل المولى، 200 آل حسين النجم الطائي، 201 - آل الشبيبي، 202 - آل الفكيكي.

**البيوت النصرانية:**

**تناول 10 بيوت، أكثرها من أصول موصلية، وبعضها من أصول حلبية، وأرمنية، وجميعها يسكن الجانب الشرقي من بغداد، وهي:**

203 - آل عيسائي، 204 - آل غنيمة، 205 - يعقوب سركيس، 305 الأب أنستاس الكرملي، 223 - آل عواد، 208 - آل مسكوني، 209 - سكندر اسطيفان، 210 - بيت جرجي، 211 - بيت نازو، 212 - بيت مراد الشيخ.

**البيوت اليهودية:**

**تناول 11 أسرة، جميعها من أصول بغدادية قديمة، وهي تسكن جميعًا الجانب الشرقي:**

213 - مناحيم دانيل، 214 - عزره مناحيم دانيل، 215 - الحاخام ساسون خضوري، 216 - أنور شاؤول المحامي، 217 - مير بصري، 218 - داود سمره، 219 - يوسف الكبير، 220 - نعيم زلخة، 221 - إبراهيم حييم، 222 - روبين بطاط، 223 - صالح قحطان.

وكان شرط الدروبي في اختيار أُسَره يتمثَّل في وجود (مجلس) خاص بها، يؤمُّه الناس في أوقات محدَّدة، على وَفْق عادة البغداديين عهد ذاك، ومعنى هذا أنه جمع في كتابه كلَّ الأسر التي تمتَّعت بشيء من الوجاهة والنبل والصيت؛ إذ إن إقامة مثل تلك المجالس كان شأنَ الأسر المذكورة عادة، هذا مع ملاحظة أنه تكلَّم عن مجالسَ لأفرادٍ بارزين، ولكن لا أسر لهم.

ولقد توسَّع الدروبي - بالنسبة إلى سابقيه - في الحديث عن بيوتات بغدادَ في عهده، فتكلَّم عن نسبِ البيت، وانتمائه القومي، والأصول القبلية التي ينحدر منها، وتاريخ وفوده إلى بغداد، وسبب ذلك غالبًا، والمحلات التي سكنها، ومَن خرج منه من الأعلام، والمجالات العلمية والاجتماعية التي نبغ فيها، وصلاته بأبناء الأسر الأخرى، وما أُثِر عنه من ميراث؛ كوقف مسجد، أو خزانة كتب، أو مدرسة مثلاً، وما قيل فيه من شعر، وتواريخ، ومواضع دَفْن أفراده.

اعتمد الدروبي في إعداد مادته العلمية على عددٍ من الكتب، أكثرها كان مخطوطًا في عهده؛ مثل (عنوان المجد) للحيدري، ومجاميع في التراجم، كما اعتمد أحيانًا على معطيات سجلات المحكمة الشرعية في بغداد، والتي كان مطلعًا - بحكم عَمَله في هذه المحكمة - عليها، فضلاً عما كان يستقيه من رجال الأسر نفسها من معلومات خاصة، وما كانوا يُطْلعونه عليه من وثائق تتعلق بأسلافهم؛ لذا جاء كتابُه موثقًا إلى حدٍّ كبير، وقد زاد من أهميته ضياعُ أكثر الأصول التي اعتمدها، من وثائق وروايات، وانفراده - من ثَمَّ - بإيراد ما نَقَل عنها.

والمهم أن كتاب الدروبي كان آخر الأعمال المطبوعة التي تناولتْ بالبحث في تاريخ الأسر البغدادية كلها في صعيد واحد؛ فإن جميع ما صدر بعده من كتب ودراسات اقتَصَر على أسر محلَّة أو حيٍّ بذاته.

من ذلك ما كتبه الدكتور حسين علي محفوظ (المتوفى سنة 2009م)، حينما عرَّف - في دراسة شاملة - ببيوتات قصبة الكاظمية - قُرْب بغداد - على عهده، وقد شغلتْ هذه الدراسة معظمَ الجزء الثالث من الكتاب المسمَّى "موسوعة العتبات المقدسة" الصادر سنة 1970م[[9]](#footnote-9)؛ فأعد جدولاً بأسماء الأسر الحسنية في الكاظمية وهي كما قدَّرها: (23) أسرة، كما أثبت عمود النسب الذي تتفرع منه هذه الأُسَر.

ثم إنه تناوَل أسماء الأُسِر الحسينية، فبلغتْ عنده (53) أسرة، موضِّحًا نَسَب كلِّ مجموعة منها، وخصَّ الأسر المُوسَوية بمبحثٍ خاصٍّ استوعب فيه أسماء (37) أسرة، وأوضح - أيضًا - أعمدة نسبها.

وبعد أن نوَّه المؤلِّف بهذه الأسماء والأنساب، تناول - بشيء من التفصيل - الكلامَ على بيوتات الكاظمية، مقسِّمًا إيَّاها إلى ثلاث فئات: الأولى هي البيوتات العلمية، وعدتها (53) أسرة، والثانية هي بيوتات الخُدَّام والسَّدَنة، وعدتها عنده (36) أسرة، والثالثة هي بيوتات التجار وأهل الحِرَف وغيرها، وسمَّاها البيوتات المعروفة، وقد تناول (86) أسرة.

وكلامه عن هذه الأُسَر يتراوح تفصيلاً واختصارًا بين عدة صفحات، وسطر واحد، حسب أهمية الأسرة، وما هو متوفِّرٌ عنها من معلومات، على أن الطابع العامَّ للبحث يتَّسم بالتركيز الشديد، فهو يذكر أحيانًا نَسَبها، إن كان لها نسبٌ معروف، كما يُشِير إلى مواطنِها الأولى قبل هجرتِها إلى الكاظمية، والمواضع التي سكنتْها في مَهجَرهم الجديد، وما تفرَّعتْ إليه من أُسَر، وبعض ما نُسِب إلى أفرادها من أعمال مهمة، وهو يُورِد - في أحيان قليلة - مشجَّرات صنعها بنفسه لبعض تلك الأُسر لتزيد صلات أبنائها وضوحًا.

وفي سنة 1984 أصدر الدكتور هاشم الدبَّاغ الأعظمي كتابًا جمع بين التاريخ والمأثور الشعبي، بعنوان (الأعظمية والأعظميون)، تكلَّم فيه عن أُسَر الأعظمية مرتَّبة على وَفْق المراحل التاريخية التي وفدتْ فيها إليها[[10]](#footnote-10)؛ فالقسم الأوَّل يختصُّ بأُسَرِها الأصلية، وهي التي ثبتَ وجودها في الأعظمية قبل دخول السلطان مراد الرابع بغداد سنة 1048هـ/ 1638 وما بعدها، وقد تكلَّم فيه على 112 أسرة.

أما القسم الثاني، فقد تناول فيه أُسَر الأعظمية بعد عام 1247هـ/ 1831م - أي: بعد الطاعون والغَرَق الذي أصاب بغداد في ذلك التاريخ، ويبلغ عددها 114 أسرة - بينما استوعب القسمُ الثالث الأُسَر التي استقرَّتْ في الأعظمية منذ عام 1900، ويبلغ عددها 84 أسرة، أما القسم الرابع، ففيه تعريفٌ بالأُسَر التي استوطنتِ الأعظمية بين الحربين العالميتين 1918 - 1945، ويبلغ عددها 245 أسرة.

ومنهج الدباغ يتَّسم بالإيجاز الشديد، فهو لا يزيد على ذكر اسم الأسرة، وما اشتهرتْ به من كُنْية أو لقب، والمدن التي انحدرتْ منها أحيانًا، وأسماء أبنائها على وَفْق طريقة (المبسوط) التي يعرفها النسَّابون خاصة، مع فارق واحد هو أن هذه الأُسَر لا تتصل بنسب واحد، وإنما تنتهي إلى أنساب مختلفة مستقلة غالبًا.

وأثار صدور كتاب (بغداد كما عرفتُها) الذي ألَّفه - الدبلوماسي العراقي السابق - الحاج أمين المُميِّز (المتوفى سنة 1997م)، سنة 1985، وخصَّ فيه محلَّتَه القديمة (الدِنكجَيَّة) بعناية كبيرة؛ اهتمامَ بعضِ الفضلاء بتواريخ محلاتهم التي نشؤوا فيها[[11]](#footnote-11)، فلم تمضِ إلا سنواتٌ قلائل، حتى كتب أنور عبدالحميد الناصري كتابًا مستقلاًّ عن محلة (سوق الجديد)، وهي من محلات الجانب الغربي من بغداد، فأرَّخ فيه لأسرٍ عديدة كانتْ تسكن محلته؛ أبرزها: آل القشطيني، وآل العلوي، وآل خضير، وآل جمهور، وآل الحسن، وآل الهدبان، وآل هندي، وآل الناصري، وآل جرجيس، وآل النقشبندي، وآل النُّوره جي، وآل الجعفري، وآل وهب، وآل الشوَّاف، وغيرهم.

وتتفاوتِ الأحاديث عن هذه الأسرِ سَعَة واختصارًا، والغالبُ عليها الاختصار، بل الاقتصار أحيانًا على الترجمة الموجزة لأبرز رجالها ممن عاصرهم المؤلِّف نفسه في بعض مراحل حياته، وهو إذ لم يتخذ لنفسه منهجًا محدَّدًا في الكتابة عن تواريخ تلك الأسر، فلأنه أراد - فيما يظهر - أن تأخذ مكانها كجزء من النسيج الاجتماعي العفوي لمحلته، ومن هنا ترك القلم ليُعرِّف بكل أسرة دونما سياق أو منهج مُطَّرد.

وفي الوقت نفسه، كتب السيد شاكر جابر البغدادي (المتوفى سنة 2007م) كتابه المُعَنْوَن (من تاريخ الكرَّادة الشرقية)[[12]](#footnote-12)[[13]](#footnote-13)، وهو كتاب قصد به استيعاب تاريخِ هذا الحي الوسيع من بغداد الشرقية، منذ العهود القديمة وحتى العصر الإسلامي، فالعصر الحديث.

وقد خصَّص أجزاءه الأخيرة وهي التي لم تُطبع بعد، لدراسة أُسَر هذا الحي، فأفرد فصلاً خاصًّا بأنساب السادة الهواشم، مرتبًا إياهم على النحو الآتي:

• الأسر الحَسَنية، وعدتها 13 أسرة.

• الأسرة الحُسَينية وعدتها 27 أسرة، وهي تضم أُسَرًا زيدية وأعرجية وموسوية.

• الأسرة العباسية.

ثم إنه بحث في تواريخ الأسر الأخرى، وحدَّد أنسابها، ومِهَنها، والمواطن التي هاجرتْ منها، والمحلات التي سكنتْ فيها في الكرَّادة الشرقية، ورتَّب ذلك كله على حروف المعجم، فجاءتْ دراستُه مستوعبة لتواريخ 436 أسرة، منها 272 أسرة بغدادية سكنتْ محلات هذا الحي، ومنها 165 أسرة سماها كرَّادية أصلية، والأخرى وافدةٌ في عهودٍ متأخِّرة، وتنتمي هذه الأسر إلى أصول عشائرية مختلفة، عدنانية وقحطانية، فمنها 45 أسرة من زبيد، و40 أسرة من خفاجة، و43 من بني سعد، و22 من طيِّئ، و15 من ربيعة، إضافة إلى 52 أسرة لم تكتمل المعلومات عن أنسابها، و45 أسرة من النصارى، و26 أسرة من اليهود.

ومن الجدير بالذكر أن الدراسة تناولتْ - باهتمام - مِهَنَ تلك الأُسَر ووظائفها الاجتماعية، من أصحاب بساتين، وتجار، ووزراء، وغيرهم.

وفي العقد الأخير من القرن العشرين وبدايات القرن الحالي تضافرتْ جهودٌ متنوعة للبحث في تواريخ الأسر البغدادية، وأغلب تلك الجهود لم تَرَ لنور النشر سبيلاً بعد، من ذلك ما كتبه الباحثُ جميل الطائي في كتابه عن محلات بغداد، الذي عَنْوَنه (موسوعة تاريخ محلات بغداد وأسرها، الجانب الشرقي)؛ حيث جاء هذا الكتاب، الذي صدر منه الجزء الأول (بغداد 2004، 296ص)، من أجزاء عدة، متضمنًا عددًا كبيرًا من البيوتات، يبلغ نحو السبعمائة بيتًا، وتتوزَّع هذه البيوتات زمنًا على حِقْبةٍ تبدأ من سنة 1048هـ/ 1628م وحتى سنة 1958م كما تتوزَّع مكانًا في نحو 56 محلة هي أبرز محلات بغداد في خمسينيات هذا القرن.

وقد اختص الجزء الأول بالبحثِ في جانبٍ من محلة باب الشيخ، إحدى كبريات محلات الجانب الشرقي من بغداد، وتناول من خلال هذا البحث تواريخَ أُسَرٍ بارزة من أهل المحلَّة؛ منها: الأسرة الكيلانية، وآل الطيار، وآل التِّكَرلي، وآل الأدهمي، وآل الواعظ، وآل البكري، وآل غلام، وآل علقبند، وآل ونَّة، وآل الرحبي، وآل الشيخ قادر، وآل الجادر، وآل الشالجي، وآل الكيارة، وآل النقشلي، وآل دلَّة، وآل عَلَّو، وآل القاضي، وآل الجوراني، وآل الراضي، وآل السُّكوتي، وآل مَلُّوكي، وآل وريد، وآل الوطني، وآل شنشل، وغيرهم.

وأرَّخ الباحث قيس عبدالقادر الشيخلي لمحلَّة باب الشيخ، وتناول من خلال تاريخه لها دراسةَ الأسر القديمة التي استوطنتِ المحلة في العصر العثماني، مُعتَمِدًا - بصفة رئيسة - على الوثائق، والقسَّامات، والإعلامات الشرعية، وقد بلغ عددُ الأسر التي أرَّخ لها 120 أسرة، كثير منها لم يترجِم له أحدٌ من قبل؛ مثل: العُبُوسي، وآل الحوراني، وآل طيفور، وآل المخزومي، وآل الخزرجي، وأُسر أخرى أشارتْ إليها المصادر السابقة إشاراتٍ عابرة؛ مثل: آل القيَّارة، وآل الدركزلي، وآل الجراح، وآل التكرلي، وآل زبير، وآل غلام، وآل الرحبي، وآل الطيار، وآل دلة، وآل الأدهمي، وآل ملوكي، وآل ونة، وآل الريزة لي، وآل المدفعي، وآل الشالجي، وآل الجاووش، وآل حموش، وآل الخطيب، وآل النقشلي، وغيرهم.

ووضع الباحث رفعت مرهون الصفار كتابًا مستقلاًّ عن محلة صبابيغ الال وما جاورها من محلات بغداد وبغداد الشرقية، ضمَّنه جدولاً بأسماء أُسَر المحلة والأصول العشائرية التي تَنْحَدر منها، ويبلغ عدد هذه الأُسَر أكثر من مائة أسرة؛ منها مثلاً: آل كُبَّة، آل أبي التمن، آل القاموسي، آل الغبَّان، آل الصَّفار، آل الخاصَّكي، آل العينة جي، آل الخضري، آل المراياتي، آل علش، آل حَبَة، آل شكاره، آل البغدادي، آل الجواد، آل البير، آل رحمة الله، آل زلزلة، آل الملائكة، آل تويج، آل حمندي، آل الخياط، آل الشمَّاع، آل أبو الأقلام، آل مكيَّة، آل البصَّام، آل الطويل، آل كافل الحسين، آل الراضي، آل الخنلي، آل البعلي، آل الشالجي، آل سلبي، آل طعيمة، آل صندوق، آل السيد عيسى، آل الشديدي، آل الأعرجي، وغيرهم من الأسر البغدادية القديمة التي استوطنتْ تلك المحلة وجوارها، وكان لها وجود إبَّان النصف الأول من القرن العشرين.

ثم إنه وسَّع هذا الكتاب بأن أضاف إليه دراساتٍ أخرى عن محلات مختلفة في شرقي بغداد، اتبع فيه منهجه نفسه في ذكر أسماء الأسر فيها، وقد طُبِع الكتاب بعنوان (تاريخ محلات بغداد).

وبحثًا عن مناجم معلومات جديدة قام كاتبُ هذه السطور بجردِ سجلاَّت الوقفيات، والحجج، والإعلامات الشرعية المحفوظة في أرشيف وزارة الأوقاف ببغداد[[14]](#footnote-14)؛ فاستخرج منها قائمة بأسماء نحو ثلاثمائة أسرة بغدادية، كان لها وجودٌ في المدينة في الحِقْبة الممتدَّة من سنة 894هـ/1488م (وهي تاريخ أولى الوقفيات المحفوظة)، وحتى نهاية العصر العثماني، وقد أثبت إزاء اسم كل أسرة أسماء رجالها الذين وَرَدُوا بصفتهم من الواقفين أو المُتولِّين أو الشهود، وتواريخ الوقفيات والوثائق الشرعية التي سجَّلتْ ذلك، إضافةً إلى أسماء محلات بغدادَ التي سكنوها أحيانًا.

ونشر تلك القائمة في آخر كتاب (تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة) لعبدالرحمن حلمي، الذي تولَّى تحقيقه والتعليق عليه[[15]](#footnote-15)، وكثيرٌ من هذه الأُسَر لم تَرِدْ أسماؤها في الكتب المتقدِّمة مما دلَّ على أنها تقعُ خارجَ نطاقِ ما وَضَعوه من شروط، وهو أن يكون للأسرة أصلٌ قديم، أو مجلسٌ معقود، أو فضلٌ مشهور، ومن ناحية أخرى، فإن عددًا غيرَ يسيرٍ مما تضمنتْه تلك القائمة لم يسمع به من بعدُ، مما دلَّ على انقراضها نتيجة لظروف متنوعة.

ولا نشكُّ في أن مناجمَ جديدةً من المعلومات لَمَّا تَزَلْ تَنتَظِر الباحثين في هذا الجانب المهم من جوانب تاريخ بغداد الاجتماعي، تأتي في مقدِّمتها سجلاَّت المحكمة الشرعية في بغداد، التي تغطي وثائقُها القرنين الأخيرين بكل تفصيل، والحاوية على مئات الألوف من الدعاوى والقسامات والحِجَج والعقود الشرعية؛ مما يفيد الباحث فائدة كبيرة.

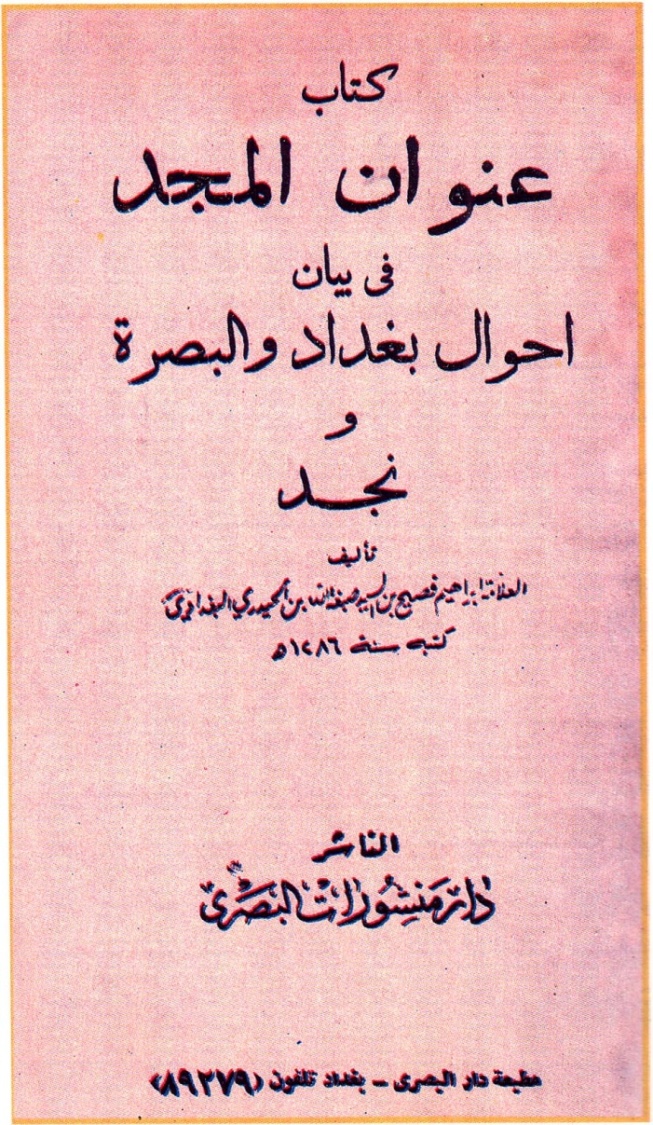
كما أن في سجلات دوائر الطابو القديمة ما يغطي أخبار العقار في بغداد، وانتقاله بين المالكين على مدى حِقْبة طويلة تمتد من الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحكم العثماني في العراق وما بعده، وفيها أسماء أسر كثيرة، ومعلومات موثوقة عن مواطن سكنها، وهي مما يفيد البحث ويعزِّزه إلى حد كبير.

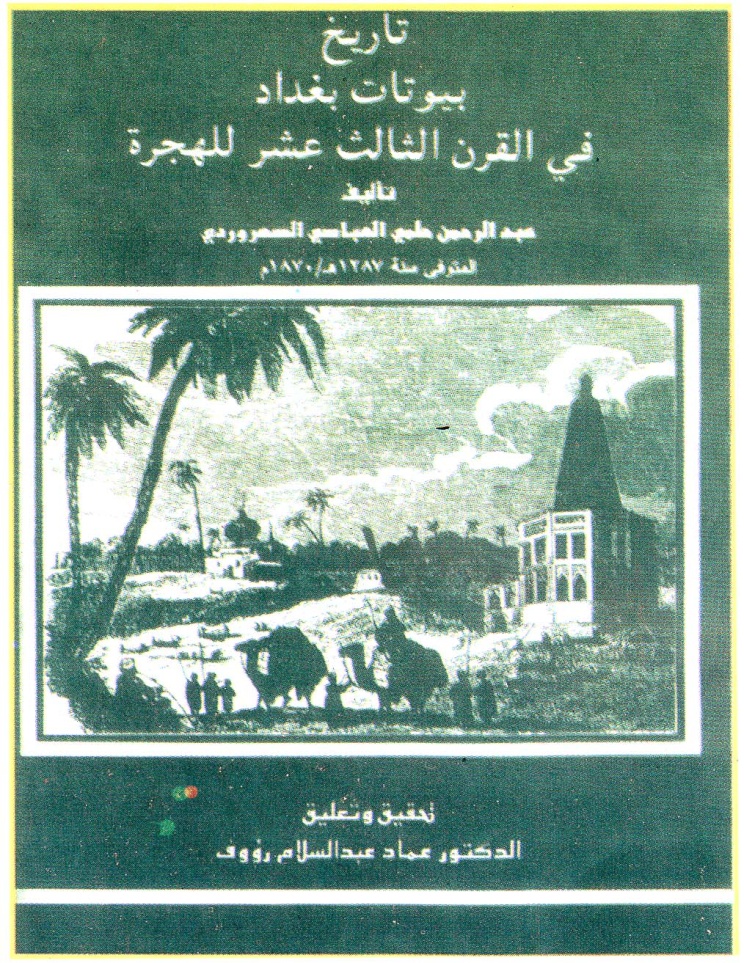
ولا ننسى - في هذا الصدد - ما تحتفظ به مديرية جنسية بغداد، من عقود قديمة لآلاف الأسر التي تضرب بجذورها في العصر العثماني، وفي تلك القيود معلومات جمَّة عن أصول تلك الأسر، وتواريخ استقرارها في بغداد، ومواطن ذلك الاستقرار، ومِهَن رجالها، وصلاتها بالأسر الأخرى.

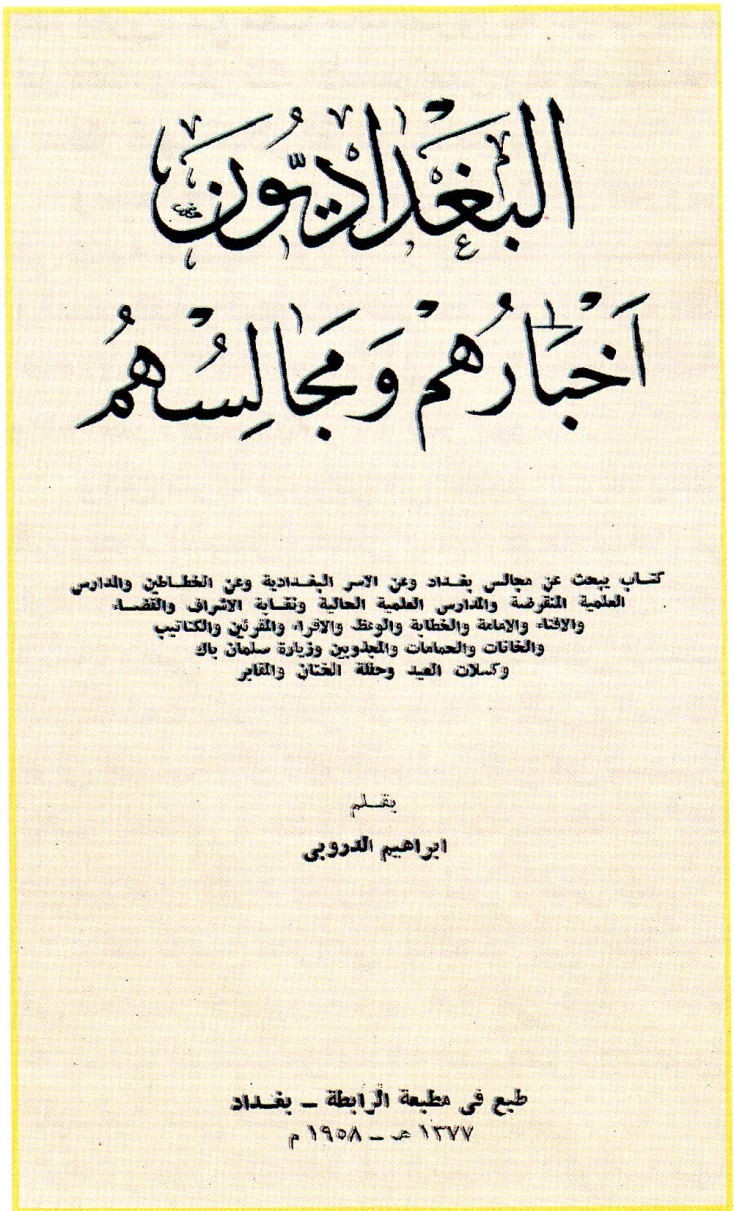
وبالطبع، فإن جميع تلك المعلومات لم توظّف في بحثٍ علمي حتى الآن؛ نظرًا لِمَا يكتنف هذه الوثائق من سرية تتطلَّبها طبيعة عمل الدوائر المذكورة.

وأخيرًا، فإن كثيرًا من الأسر البغدادية نفسها يَحتَفِظ حتى الآن، بوثائق ومستندات قديمة تتعلَّق بتاريخها؛ مثل: عقود بيع وشراء عقاراتها القديمة، أو عقود زواج أسلافها، ومشجرات نسبية، وأغلب هذه الوثائق - كما لاحظنا في أثناء متابعتنا لحالات عديدة - لَمَّا يَزَلْ حبيس القماطر، أو الأكياس، أو الصناديق المُقفَلة، وهي تعدُّ - في الأعم الأغلب - ثروة علمية، لا يُستغنَى عنها في دراسةِ تاريخ الأُسَر، وما يتصل بها من أُسَر أخرى أيضًا.

إن كلَّ المصادر التي ذكرناها، تبعث في النفس أملاً بأن ما انتهتْ إليه جهود الباحثين من كتب ودراساتٍ لن تكون آخرَ ما يُكتَب في تاريخ بيوتاتِ بغداد؛ فإن هناك كمًّا هائلاً من المعلومات المتنوعة، والمهمة، لَمَّا يَزَلْ ينتظر من يكشف عنه النقاب؛ ليجد مكانه في دراسات نافعة مقبلة إن شاء الله تعالى.







1. وفي وسعنا أن نعد كتاب (الأصيلي) لابن طباطبا الطقطقي (المتوفى بعد سنة 701هـ/1301م)؛ (مخطوطة مصورة لدى الدكتور حسين علي محفوظ)، نموذجًا بيِّنًا لهذا النوع من الكتب. [↑](#footnote-ref-1)
2. توجد نسخة خطية من هذه القصيدة في المركز الوطني للمخطوطات ببغداد، وفي خزائن كتب خاصة نُسَخ أخرى، وانظر عن ناظمها عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق ج2 ص132، وقد حقَّق السيد زين أحمد عبدالله النقشبندي هذه القصيدةَ من نسخ عدة، وعلق عليها بعنوان (الأسر البغدادية في القرن التاسع عشر الميلادي من خلال القصيدة البغدادية)، وقد اطلعنا عليها، وهي مُعدَّة للنشر. [↑](#footnote-ref-2)
3. نسخة بخط مؤلفها لم يخترْ لها عنوانًا، وهي في مكتبتنا، وقد حقَّقناها وعلَّقنا عليها ونشرناها (بغداد 1996). [↑](#footnote-ref-3)
4. طبع ببغداد دونما تحقيق سنة 1961. [↑](#footnote-ref-4)
5. نسخة مخطوط بخط مؤلفها، مصوَّرة لدينا، وقد حقَّقناها وعلقنا عليها ونشرناها (ط1دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، 1997، وط2 الدار نفسها 2007). [↑](#footnote-ref-5)
6. أعلام العراق بغداد 1341هـ [↑](#footnote-ref-6)
7. طبع ببغداد سنة 1958. [↑](#footnote-ref-7)
8. فرغ من تأليفه في رمضان 1377هـ/ آذار (مارس) 1958م. [↑](#footnote-ref-8)
9. الصفحات 63-158. [↑](#footnote-ref-9)
10. الصفحات 189- 232. [↑](#footnote-ref-10)
11. طبع ببغداد سنة 1978، وقد ناشد مؤلِّفه الحاج أمين المميز قُدَامى البغداديين أن يكتبوا عن المحلات التي نشؤوا وترعرعوا فيها، وعن الشخصيات التي عاصروها، وعن المعالم التي شاهدوها، وعن بغداد أيام طفولتهم وصباهم وشبابهم، في الأسلوب الذي يختارونه. [↑](#footnote-ref-11)
12. طُبِع الجزآن الأولان ببغداد سنة 1990، ويقعان في مجلدٍ واحد، وقد فرغ مؤلِّفه من إعداد ثلاثة أجزاء تالية، تضم تاريخ الأسر التي قطنتِ الكرادة الشرقية على ما أخبرني هو بذلك. [↑](#footnote-ref-12)
13. طبع الجزء الأول منه ببغداد سنة 1990. [↑](#footnote-ref-13)
14. وهي اليوم (ديوان الوقف السني)، ويبلغ عدد هذه الوثائق نحو 3400 وثيقة. [↑](#footnote-ref-14)
15. الصفحات 119-140. [↑](#footnote-ref-15)